التنمية
في القرآن الكريم

المدرس المساعد

محمّد جواد شبع

كلية الآداب ـ جامعة الكوفة

"المقدمة"

حرص القرآن الكريم على الاهتمام بموضوع التنمية بمجالاتها المختلفة لتوفير المناخ المناسب للإنسان في العيش الرغيد وتأدية واجباته، فموضوع التنمية من الموضوعات المهمة التي شغلت الناس أفراداً وجماعات، شعوباً وحكومات. لما تحققه التنمية من حياة أفضل للناس، إذ نجدهم يسعون جاهدين للتنمية، كلّ حسب مجالات عمله، فهدف التنمية هو تحسين حياة البشر والازدياد من ذلك على حسب قدرات الناس وعزائم كلّ فرد، وعلى قدر أهل العزم تكون التنمية.

وقد اختلفت التعاريف في تحديد مفهوم التنمية، وسبب ذلك اختلاف الآراء حول عملية التنمية من حيث مجالاتها وشموليتها، فبعضهم يقتصر في تحديد مفهوم التنمية على مجال معيّن كالمجال الاقتصادي مثلاً، فيقوم بتعريفها من خلال هذا المجال المحدد للتنمية، بينما البعض الآخر يرى أنها عملية شاملة لمختلف المجالات، فيكون تحديد المفهوم تبعاً لهذه الرؤية الشمولية للعملية التنموية، فضلاً عن الاهتمام بالإنسان بوصفه المحور الأساس للتنمية، وبدأ يظهر هذا التوجه نحو تنمية شاملة لمجالات الحياة المتعددة. وهذا ما نصّ عليه القرآن الكريم لهدف التنمية هو الإنسان بكل مقوماته، بما فيها عنصر الأموال، فالمستهدف هو ترقية هذه المقومات الإنسانية وتحسينها وحمايتها، وهي التي جمعها علماء الإسلام في خمس (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، والوسيلة لتحقيق ذلك هي نفسها إي الإنسان نفسه بما لديه من مقومات.

وهنا نجد المفهوم القرآني للتنمية يتميز عن المفهوم الوضعي لها، الذي جعل موضوعها الأموال والأشياء، ووسيلتها في المقام الأول، ومن ثم فهي تنمية ما بيدي الإنسان وليست تنمية الإنسان نفسه. وقد نتج عن هذا المفهوم المادي للتنمية على المجتمعات المعاصرة الكثير من المتاعب والأوزار. مما جعل المنصفين من فلاسفة الغرب وعلمائه والكثير من علماء الاقتصاد أخذوا من مؤلفاتهم الحديثة يصرون على ضرورة أحداث تغيير جذري في مفهوم التنمية، وأبعادها، وأهدافها، ووسائلها، وبعضهم اخذ يقترب رويداً رويداً من المفهوم القرآني للتنمية، والتي تكون موصولة بالآخرة وبالأهداف الكريمة للحياة التي تجد ثوابها في

الآخرة. أما المجتمعات المادية فمحرومة من هذه العقيدة ومحكومة لقيمتها المادية الدنيوية فالمسلم الحق هو الذي يسعى للتنمية الشاملة ويتحمل في سبيل ذلك التعب والضنك، لان هذا جزء من مهمته التي استخلفه الله لتحقيقها. فالدنيا مزرعة الآخرة، وتعد التنمية وسيلة لتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته في الدنيا والآخرة، وهذا الموقف مبني على التصور القرآني للكون والحياة والإنسان حيث إنّ الإنسان غاية جميع ما في الطبيعة، وكلّ ما في الطبيعة وجد لخدمته، كما في قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَاٰيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1]، وقولـــه تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ)[2].

فمن يرى أن التنمية غاية في ذاتها فيجعل الإنسان خادماً لها ولو كان ذلك على حساب سعادته، وفي هذا الموقف تكون التنمية من أجل التنمية وليست من أجل الإنسان. أما الذي يرى أنّ التنمية وسيلة لتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته، ففي هذه الحال تكون التنمية خادمة للإنسان محققة لمصالحه، وهذه التنمية التي يهدف إليها القرآن، هذا ما سنناقشه في بحثنا من خلال عرض بعض نصوصه الكريمة التي تعرضت لمفهوم التنمية ومجالاتها وخصائصها وأبعادها.

١. مفهوم التنميّة:

إن المصطلحات التي تعبّر عن تغير الحالة إلى حالة أفضل، كثيرة ومختلفة مثل (التنمية، النماء، النمو..)، إن التنمية هي عملية مقصودة ومخططة تهدف إلى تغيير البنيان الهيكلي للمجتمع بأبعاده المختلفة لتوفير الحياة الكريمة لأفراد المجتمع. ولهذا فان التنمية أشمل واعم من النمو، إذ إنها تعني النمو زائداً التغيير، فمصطلح النمو يطلق على الحالة التي تحدث فيها زيادة في الكمية أو القيمة للإنتاج في القطاع المستهدف، بينما يطلق مصطلح التنمية على الحالة التي تتغير إلى حالة أفضل بصورة إرادية مخطط لها وتتحقق بواسطة وسائل

١- سورة الجاثية، الآية ١٢-١٣.
٢- سورة الملك، الآية ١٥.

وإجراءات معينة تتمثل بخطط وسياسات هدفها زيادة الرفاه الاجتماعي للسكان.[٣] وان التنمية ليست ظاهرة اقتصادية فحسب وإنما تتضمن محتوى اجتماعياً أيضاً.[٤] ومحتويات أخرى.

أصبح مصطلح التنمية مثقلاً بالكثير من المعاني والتعميمات، رغم اقتصاره في بعض الأحيان على الجانب الاقتصادي، ويرتبط إلى حدّ بعيد بالعمل على زيادة الإنتاج الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الاستهلاك، لدرجة أصبحت معها حضارات الأمم تقاس بمستوى دخل الفرد، ومدى استهلاكه السنوي للمواد الغذائية والسكنية بعيداً عن تنمية خصائصه ومزاياه وإسهاماته الإنسانيّة، وإعداده لأداء الدور المنوط به في الحياة، وتحقيق الأهداف التي خلق من أجلها.[٥] فضلاً عن أنّ هذه النظرة المادية لعملية التنمية قد استكنت في عقول معظم شعوب العالم الإسلامي، وسيطرت على تفكيرهم، نتيجة الهيمنة الغربية.

وتختلف الدراسات التي تناولت التنمية باختلاف الموضوعات التي تدرسها والمجال الذي ينظر من خلاله إليها، ففي المجال الاقتصادي ينظر إليها في إطار استخدام المجتمع المتزايد للتكنولوجيا بهدف تحقيق زيادة ملموسة في نصيب الفرد في الدخل القومي. أما في المجال الاجتماعي فإنها عملية تحول حضاري في الدول الأقل تطوراً كدول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والتي تعكس تحولات اجتماعية وتغير من التنظيم الريفي الزراعي الرعوي إلى التنظيم الصناعي بما يتضمنه هذا من استيعاب وتقنين للتكنولوجيا المادية الاجتماعية الحديثة[٦]، كذلك تعني التنمية من وجهة النظر الاجتماعية إنها المعرفة وبواسطتها نستطيع اكتشاف الموارد البشرية والمادية والسيطرة عليها واستغلالها بشكل كفوء.[٧]

فيما يمكن تعريفها بأنها مجموعة التحولات الاجتماعية التي تؤدي إلى نمو اقتصادي تلقائي وذاتي. وهي أيضاً بمنظورها الواسع عملية تتخطى مجرد تحقيق نمو مقبول في الناتج

٣ـ محمد جواد عباس شبع، الصناعة وأثرها في التنمية الإقليمية في محافظة النجف الأشرف، رسالة ماجستير "غير منشورة"، كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، ٢٠٠٧، ص٩.

٤ـ د. مدحت القريشي، التنمية الإقتصادية، نظريات وسياسات وموضوعات، ط١، دار وائل للنشر، عمان ـ الأردن، ٢٠٠٧، ص١٢٥.

٥ـ إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٣.

٦ـ وزير غازي عمر، التنمية المكانية والمواقع الصناعية في محافظة نينوى (منطقة الدراسة قضاء تلعفر)، رسالة ماجستير، كلية التخطيط الحضري والإقليمي، "غير منشورة"، جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص٤.

٧ـ د. طه النعيمي، وآخرون، رؤيا لعقد الثمانيات في التنمية العلمية والتكنولوجيا، مجلة النفط والتنمية، العدد الأول، السنة التاسعة، بغداد، ١٩٨٤، ص٤٤.

القومي الفردي، لتتضمن تحقيق عدد من التبادلات الجوهرية في المعطيات والمؤسسات الاقتصادية والديمقراطية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية.[٨]

ويمكن التمييز بين الجوانب الاقتصادية للتنمية والتي أطلق عليها التنمية الاقتصادية[٩] وهي التي تتجه إلى تنمية الإنتاج وزيادة الدخول القومية والفردية إي زيادة الثروة. والجوانب الاجتماعية والتي عرفت بالتنمية الاجتماعية وهي التي ترمي إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية من حيث الصحة والتعليم والمستوى المعيشي والخدمات بشتى أنواعها.[١٠]

ولذا فان التنمية تتمثل في تلك التغييرات العميقة في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة، وفي العلاقات التي تربطها بالنظام الاقتصادي العالمي التي يكون من شانها تحقيق زيادات تراكمية قابلة للاستمرار في الدخل الفردي الحقيقي عبر فترة ممتدة من الزمن إلى جانب عدد من النتائج الأخرى غير الاقتصادية، والمفهوم العكسي للتنمية هو التخلف.[١١] ونتيجة لذلك فان التنمية تشمل النمو الاقتصادي ولكنها في الوقت نفسه ذات أبعاد أخرى كثيرة، وهي تؤدي بالفعل دور عملية دمج لجميع أبعاد النشاط البشري.[١٢] وهناك من يراها مجموعة من الأنشطة الاقتصادية التي تسبب زيادة إنتاجية كل من الاقتصاد ككل والعامل في المتوسط، وزيادة نسبة المشتغلين إلى إجمالي السكان، وإنها عملية مستمرة تتضمن تغييرات هيكلية تؤدي إلى تحسين في أداء الاقتصاد حاليا وفي المستقبل، يقاس بصورة دخل فردي حقيقي، وتمتد لفترة ضريبية من الزمن، وإنها تقوم على جعل الناس أكثر قدرة على التحكم في بيئتهم الاقتصادية نحو تحسين مستوى المعيشة.[١٣]

فيما عرفت التنمية البشرية التي طرحت في العقد الأخير من القرن العشرين وفقاً لأدبيات الأمم المتحدة بأنها عملية توسيع لخيارات الناس، ويتحقق هذا التوسيع بزيادة

٨- يوسف صايغ، التنمية والمثلث الحرج، في التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص١٠٠.

٩- للمزيد ينظر: - د.محمد علي الحسيني، الإسلام والتنمية الإقتصادية، مجلة النبأ، المستقبل للثقافة ولإعلام، العدد٥٨،بيروت، لبنان،٢٠٠١، ص٦٦-٧٣.

- د. محمد بن موسى باباعمي، الإنسان محور التنمية في المنهج القرآني، مجلة حراء، السنة الاولى، العدد٤، ٢٠٠٦، ص٣٤-٣٧.

١٠- صالح الطيطي، غالب محمد اسماعيل، التنمية العربية وافاقها المستقبلية، دار حنين، عمان، ١٩٩٥، ص١١٨.

١١- ابراعيم العيسوي، التنمية في عالم متغير دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراته، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٨.

١٢- منشورات اليونسكو، الاسكوا، البعد الثقافي للتنمية: نحو مقاربة عملية، ترجمة يوسف سماحة، ١٩٩٥، ص١١١.

١٣- محمد عبدالمنعم عفر، التخطيط والتنمية في الإسلام، دار البيان العربي، جدة،١٩٨٥، ص١٢٢.

القدرات البشرية وطرائق العمل البشرية، وقد فرض هذا المصطلح نفسه في الخطاب الاقتصادي والسياسي على مستوى العالم بأسره منذ التسعينيات، كما لعب البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وتقاريره السنوية عن التنمية البشرية دوراً بارزاً في نشر وترسيخ هذا المصطلح. فالتنمية البشرية تنظر إلى الإنسان هدفاً في حد ذاته، حين تتضمن كينونته والوفاء بحاجته الإنسانية في النمو، لان الإنسان هو محرك الحياة في مجتمعه ومنظمها وقائدها ومطورها ومجددها.[١٤]

وفي تقريره الموسوم "مبادرة من اجل التغيير" عرَف جيمس سبيث المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي للتنمية البشرية المستدامة على النحو الآتي: [١٥]

"هي تنمية لا تكتفي بتوليد النمو فقط، بل توزع عائداته بشكل عادل أيضاً. وهي تجدد البيئة ولا تدمرها، وتمكن الناس بدلاً من تهمشهم، وتوسع خياراتهم وفرصهم وتؤهلهم للمشاركة في القرارت التي تؤثر في حياتهم. إن التنمية البشرية المستدامة هي تنمية في صالح الفقراء، والطبيعة، وتوفير فرص عمل، وفي صالح المرأة، فهي تشدد على النمو الذي يولد فرص عمل جديدة، ويحافظ على البيئة، وتنمية تزيد من تمكين الناس وتحقق العدالة فيما بينهم".

إما التنمية المستدامة، إصطلاح شاع استخدامه في تقرير لجنة الأمم المتحدة للبيئة والتنمية التي أصدرت تقريرها المعنون "مستقبلنا المشترك" وصاغ التقرير هذا المفهوم ببساطة، حيث ينص "إن التنمية المستدامة هي توفير احتياجات الأجيال من دون حرمان الأجيال القادمة من حقها في الحصول على احتياجاتها"[١٦] يتضح من ذلك إن هذا الإنسان يمثل الاهتمام المشترك لكل من التنمية البشرية والتنمية المستدامة، وان كانت الأخيرة تنظر بعين الاعتبار إلى احتياجات الأجيال القادمة، كما إنها ترتبط ارتباط مباشراً بالبيئة، على

١٤ـ د.عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، التنمية البشرية ومقومات تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العربي السادس للإدارة البيئية بعنوان "التنمية وأثرها على التنمية المستدامة"، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، ٢٠٠٧، ص٦.

١٥ـ المصدر نفسه، ص٧.

١٦ـ للمزيد ينظر: اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كمال عارف، سلسلة عالم المعرفة(١٤٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، مطابع السياسة، ١٩٨٩، ص٨٣.

أساس إن الإنسان يمثل المحور الأساسي لعملية التنمية المستدامة التي تسعى لتحسين نوعية حياة الإنسان، ولكن ليس على حساب البيئة.

ويمكن إيجاز مفهوم التنمية بأنه كل الجهود البشرية التي تبذل من اجل النمو والتطور وتحقيق الرفاهية للمواطن والمجتمع، والتنمية كلمة جامعة لا تعني إنها خطة أو برنامج أو مشاريع للنهوض بواقع السكان إقتصادياً وإجتماعياً فقط بل تعني أيضاً كل عمل إنساني بنّاء في جميع القطاعات وفي مختلف المجالات وعلى المستويات كافة.[١٧]

٢. مفهوم التنمية من المنظور القرآني:

لم نجد في القران الكريم استخداماً لمصطلح النمو أو التنمية، في معرض الحث والأمر لكن نجد بدلاً من ذلك عدداً من المصطلحات المرادفة، ومنها الأعمار والابتغاء من فضل الله والسعي في الأرض، وإصلاح الأرض وعدم فسادها، وينشدان الحياة الطيبة. وليس معنى ذلك زهد القرآن في الرخاء الاقتصادي، ذلك المعنى الذي تمحورت حوله عملية التنمية في المصطلح الاقتصادي المعاصر، وإنما هو حرص القرآن وتأكيده على ان المطلوب والمستهدف هو شيء اكبر من ذلك واجل منه، انه طيب الحياة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ومدلول يتجاوز إلى حد بعيد الحدود الاقتصادية، محتوياً على جميع جنيات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية فضلاً عن الاقتصادية. كما انه في الوقت نفسه مشغول كل الشغل بالإنسان نفسه، بكل مقوماته الذاتية والخارجية، الروحية والفكرية والوجدانية والمالية.[١٨] معنى ذلك بوضوح ان موضوع التنمية في المفهوم القرآني هو الإنسان بكل مقوماته، بما فيها عنصر الأموال، فالمستهدف هو ترقية هذه المقومات الإنسانية وتحسينها وحمايتها، وهي التي جمعها علماء الإسلام في خمس (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال). والوسيلة لتحقيق ذلك هي نفسها إي الإنسان نفسه بما لديه من مقومات. وهنا نجد المفهوم القرآني للتنمية يتميز عن المفهوم الوضعي لها، الذي جعل موضوعها الأموال

١٧ـ د.عدنان مكي عبد الله البدراوي، د.فلاح جمال معروف العزواي، التنمية والتخطيط الإقليمي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١.ص٢٥.

١٨ـ د. شوقي دليا، دور الدولة في التنمية في المنظور الإسلامي، وقائع ندوة التنمية من منظور الإسلامي،ج٢، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية"مؤسسة آل البيت"، عمان، ١٩٩٤، ص١١٣٩.

والأشياء، ووسيلتها في المقام الأول، ومن ثم فهي تنمية ما بيدي الإنسان وليست تنمية الإنسان نفسه. وقد نتج عن هذا المفهوم المادي للتنمية على المجتمعات المعاصرة الكثير من المتاعب والأوزار. مما جعل المنصفين من فلاسفة الغرب وعلمائه والكثير من علماء الاقتصاد أخذوا من مؤلفاتهم الحديثة يصرون على ضرورة أحداث تغيير جذري في مفهوم التنمية، وأبعادها، وأهدافها، ووسائلها، وبعضهم اخذ يقترب رويداً رويداً من المفهوم القرآني للتنمية، مؤكدا على ان المستهدف من عملية النمو لا يبتغي ان يكون هو الكثرة والتكاثر المادي، بل حياة أفضل "بما تنطوي عليه من أبعاد غير اقتصادية، لا تقل أهمية عن البعد الاقتصادي.[١٩]

ومفهوم التنمية في القرآن مفهوم شامل متكامل يهدف إلى تحسين حياة الإنسان من مختلف النواحي (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والسياسية ..) وفق شرائع الله المقررة، ويحرص على التنمية الشاملة للإنسان من الزوايا المادية والروحية والخلقية كافة. فالإنسان ليس مادة فقط كي تنحصر التنمية في مجال التنمية الاقتصادية "رغم أهميتها" وإنما الإنسان مادة وروح وعقل وقلب وجسم، يعيش في هذه الحياة الدنيا، وله حاجات يجب العمل على تلبيتها، إلا ان هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، فلا بد للإنسان من الانضباط في عمله الدنيوي بما لا يتعارض مع حياته الآخروية. من خلال هذا التصور يبرز القرآن مفاهيمه للتفوق والتقدم في المجتمع لتنسجم مع عقائده وأسسه الإيمانية والأخلاقية، وهذا بحد ذاته يعتبر من أهم دوافع التنمية لان الإنسان يعمل وفق معتقداته وإيمانه، ولا يتعارض معها، إذ ان إي خطة تنمية منقولة من مجتمع مختلف في المعتقدات والتصورات لابد ان تلاقي صعوبات عدة في التطبيق.

وقد أكد القرآن الكريم "وهو يرسي مفهومه الشامل للتنمية"على إن التنمية التي تقتصر على التقدم المادي تفقد الأمن والطمأنينة من الأنفس، وسيادة روح الغلبة والسيطرة والتنافس غير الشريف والأنانية المفضية إلى التظالم ومن ثم اكتواء الشعوب بويلات الحروب والدمار وما ينتج عن ذلك من فقر وحرمان.

١٩- د. شوقي دليا، مصدر سابق، ص١١٤٠.

فقد حدثنا القران الكريم عن أمم سابقة أخذت بحظ وافر من التقدم المادي، ولكنها لم تحفظ النعمة بالشكر، ولم يواكب قوتها المادية، طاعة الله وإقامة منهجه في الأرض، مما كان سببا في هلاكها، ولم تغن عنها قوتها ورخاؤها المادي من الله شيئاً. يقول تعالى: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ).[٢٠]

فالذين عصوا الله ولم يسيروا على نهجه ولم يراعوا البعد الروحي في التنمية، أهلكهم الله رغم ما كانوا يتمتعون به من التنمية المادية. ويقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ).[٢١]

فالآية الكريمة توضح ان التقدم المادي وحده لا يكفي، وان التكذيب وعدم السير على نهج الرسل القويم سبب لأهلاك الناس رغم ما هم فيه من تقدم مادي. مثلما توضح الآية من ناحية أخرى شمول التنمية في المفهوم القرآني، وتوازن الروح والمادة فيها، وان التنمية الروحية دافع وحافز نحو التنمية المادية، حيث يلتقي عطاء الله من السماء والأرض نماء وبركة بعطاء الإنسان إيماناً وطاعة وتقوى، وتكون النتيجة ان يحفظ الله الخيرات على أهل المجتمع المتصف بهذه الصفات، ويفتح لهم البركات. ونلاحظ ما في استخدام لفظ "بركات" على آثار هذه التنمية في المجتمع المؤمن من دلالات لطيفة وربط في مفهوم التنمية بين الدنيا والآخرة، ليجد المسلم الدافع على أعمار الأرض وتقديم الخير للناس وهو الثواب الآخروي.

ففي التصور القرآني تكون التنمية موصولة بالآخرة وبالأهداف الكريمة للحياة التي تجد ثوابها في الآخرة. أما المجتمعات المادية فمحرومة من هذه العقيدة ومحكومة لقيمتها المادية الدنيوية فالمسلم الحق هو الذي يسعى للتنمية الشاملة ويتحمل في سبيل ذلك التعب والضنك، لان هذا جزء من مهمته التي استخلفه الله لتحقيقها. فالدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا، لذا أمر الله سبحانه وتعالى بالربط بين الدنيا والآخرة في أعمالنا، فنحن نعمل في دنيانا وفق أمر ربنا، ولكن هدفنا الأعلى والأسمى هو إرضاء الله، قال تعالى:(وَابْتَغِ فِيمَا

٢٠- سورة الأنعام، الآية ٦.
٢١- سورة الأعراف، الآية ٩٦.

آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).[٢٢]

٣. خصائص التنمية في القرآن الكريم:

تعد التنمية وسيلة لتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته في الدنيا والآخرة. وهذا الموقف مبني على التصور القرآني للكون والحياة والإنسان حيث إنّ الإنسان غاية جميع ما في الطبيعة، وكلّ ما في الطبيعة وجد لخدمته، كما في قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٢٣]، وقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ)[٢٤]. وأنزل القرآن من أجل الإنسان أيضاً كما قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٢٥]. لذلك فإنّ هدف التنمية هو الإنسان، ولذا تكون العملية التنموية وسيلة غايتها تحقيق سعادة الإنسان المادية والمعنوية، فالإنسان هو محور التنمية بالمنظور القرآني التي تتميز بالآتي:[٢٦]

أ. **التطوير والتغيير**: إنّ أهم خاصية للتنمية هي كونها عملية تهدف إلى تطوير وتغيير حياة الناس في مجتمع ما، ولذلك لا يكاد يخلو تعريف من الإشارة إلى هذا العنصر الأساس في عملية التنمية أو ما يشاكله، مثل التقدم والرقي والتحسين وغيرها. ولكن عملية التطوير والتغيير هذه لابد أن يراعى فيها مدى قابلية الأفراد واستطاعتهم لذلك، حتى لا يكلف الناس أكثر من وسعهم أو يحملوا ما لا يطيقون فتفشل العملية من حيث يراد لها النجاح. ولذا فان تقييد عملية التطوير والتغيير بعبارة "قدر الإمكان" تكون مراعاة لاختلاف الناس من حيث قابليتهم للعملية التنموية.

٢٢- سورة القصص، الآية ٧٧.
٢٣- سورة الجاثية، الآية ١٢-١٣.
٢٤- سورة الملك، الآية ١٥.
٢٥- سورة النحل، الآية ٤٤.
٢٦- مفهوم التنمية، الشبكة الإسلامية، شبكة المعلومات العالمية (الانترنت):
http://www.islamweb.net.

ثم إنّ عملية التغيير تكون في التنمية دائماً نحو الأحسن فالأحسن، وذلك لوجود فرق مهم بين كلمتي التغيير والتنمية، فالتنمية دائماً تعني التحسين والرقي والزيادة في الشيء، بينما التغيير قد يكون لما هو حسن كما يكون لما هو سيئ. وقد ورد لفظ التغيير في موضعين من القرآن الكريم، أولهما في سورة الأنفال في قوله تعالى: (ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٢٧]، وثانيهما في سورة الرعد وهي قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)[٢٨]. فالتغيير الوارد في الآية الأولى إنما هو تغيير نحو السيئ، بحيث إنّ الله لا يُغيِّر نعمته إلى نقمة إلا إذا حصل ما يقتضي ذلك، وهو التغيير السيئ لأنفس قوم ما. فنظراً لهذا الفرق المهم بين التنمية والتغيير قيّدت التغيير الوارد في التعريف بكونه "نحو الأحسن فالأحسن".

ب. الاستمرارية: إنّ العملية التنموية وتحقيق مهمتها الحضارية لا تتم في يوم وليلة أو في عشية وضحاها، بل تأخذ زمناً يطول ويقصر على قدر عزائم الناس الساعين إلى التنمية. ولكن عملية التنمية لا تتوقف عند تحققها، بل لابد من المحافظة عليها وتحقيق المزيد منها، وبذلك تكون التنمية عملية مستمرة نحو الأحسن فالأحسن. وهذه الديمومة والاستمرارية للعملية التنموية تكون مستغرقة لحياة الأفراد والمجتمعات على حدّ السواء؛ بمعنى أنّ الأفراد يستنفدون أعمارهم من أجل التنمية، ويحرصون على نقل ذلك لمن يخلفهم في المجتمع.

إنّ خاصية الاستمرارية في التنمية نابعة من النظرة القرآنيّة السامية للكون والحياة والإنسان، فالإنسان خلقه الله ليكون خليفة له في الأرض كما قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلارْضِ خَلِيفَةً)[٢٩]. وهذا الاستخلاف لا مجال فيه للعبث وإضاعة الوقت فيما لا ينفع: (أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى)[٣٠]، وقوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)[٣١].

٢٧- سورة الأنفال، الآية ٥٣.
٢٨- سورة الرعد، الآية ١١.
٢٩- سورة البقرة، الآية ٣٠.
٣٠- سورة القيامة، الآية ٣٦.
٣١- سورة المؤمنين، الآية ١١٥.

ثم إنّ هذه النظرة السامية للحياة مبنية على التصور القرآني لخلق هذا الكون وأنه ليس للعب ولا للعبث كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاء وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ)[٣٢]، وقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ)[٣٣]. إذن، فالإنسان لم يخلق سدى، ولا الكون خلق عبثاً أو لعباً، فلابد أن يستثمر الإنسان حياته لتنمية ما في الكون، وهي المتمثلة في عملية التعمير: (هُوَ أَنشَأَكُمْ مّنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)[٣٤]، حتى يؤدي مهمّة الاستخلاف التي نيطت به من قِبَل خالقه، ويقوم بعملية التنمية والتعمير خير قيام.

ويضاف إلى ذلك، أنّ الله عز وجل كلّف الإنسان بتعمير الكون، وتنمية ما فيه، واستثماره. وهذا كلّه في مقدور الإنسان واستطاعته وليس فيه تكليف له بما لا يطيق، لأنّ المولى سبحانه وتعالى حين كلّف عباده بذلك يسّر عليهم القيام به، وذلك بأنْ سخّر لهم ما في الكون وذلل لهم الأرض تذليلاً. وقد وردت عدّة إشارات إلى ذلك في القرآن الكريم منها قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ جَمِيعاً مّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لاَيَـٰتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٣٥]، وقوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ)[٣٦].

ج. الشمولية: إنّ العملية التنموية لا تقف عند التطوير والتغيير المستمر نحو الأحسن فالأحسن، بل لابد أنْ يضاف إلى ذلك كلّه ميزة أخرى وهي الشمولية. والمقصود بالشمولية في عملية التنمية القرآنيّة أنْ تكون فيها مراعاة لقدرات الإنسان وإمكانياته المختلفة، سواء أكانت مادية أم معنوية (روحية، نفسية، عقلية..). فهذه الشمولية بالمعنى المتقدم تعد من خصوصيات التنمية القرآنيّة التي تنفرد بهذه الخاصية عن سواها، حيث "إنّ القرآن الكريم يخلو تماماً من ثنائية النفس والجسد التي شغلت الفكر الأروبي الديني

٣٢- سورة الأنبياء، الآية ١٦.
٣٣- سورة الدخان، الآية ٣٨.
٣٤- سورة هود، الآية ٦١.
٣٥- سورة الجاثية، الآيتين ١٥.
٣٦- سورة الملك، الآية ١٥.

والفلسفي، ذلك أنّ الإنسان في المنظور القرآني هو روح وجسم، ولم يرد في القرآن قط ما يحط من قدر الجسم".[٣٧]

د. الوعي بمقصود الشارع من الاستخلاف: غني عن البيان أنّ الله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض، وسخر له ما في الكون جميعاً، وجعل الأرض له ذلولاً، ليسير له عملية القيام بمهمّة الاستخلاف وتعمير الأرض. ولكن الأمر المعضل الذي يعسر علاجه هو غياب الوعي من قِــبل أبناء العالم الإسلامي بمقصود الشارع من الاستخلاف.

إنّ الوعي بمقصود الشارع من الاستخلاف يكون خير دافع للعالم الإسلامي من أجل قيامه بالعملية التنموية وتحقيق عمارة الأرض واستثمار ما في الكون. وسبب ذلك أنّ الإنسان لابد أن يكون له هدف يسعى إليه، ودافع ديني أو عقدي يكون حافزاً له للعمل وبذل الجهد، بغض النظر عن قيمة هذا الدافع ونوعيته. وكلّما كان واعياً ومستحضراً لذلك الدافع الديني أو العقدي كان جهده أكثر وعمله أفضل، ولاسيما إذا كان المطلوب منه مستمراً طيلة حياته ومتواصلاً بين الأجيال، مثلما هو الحال بالنسبة للاستخلاف في التصور القرآني. وينبغي أنْ يكون هذا الوعي مقترناً بالعمل. إذ عندما يكون مجرّداً عن العمل، وهو حال الأكثرية من أبناء العالم الإسلامي اليوم، لا يحقق المراد منه، ولذا اقترن الاستخلاف بالعمل والتكليف، كما في قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَــٰكُمْ خَلَــٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[٣٨].

٣٧- محمد عابد الجابري، الروافد الفكرية العربية والإسلاميّة لمفهوم التنمية البشرية، ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥،ص ٤٩.
٣٨- سورة يونس، الآية ١٤.

هـ. الرعاية: إنّ ما نقوله عن التنمية والتعليم وما ينتج عن ذلك من نهوض حضاري، كلّه يبقى حبراً على ورق إذا لم تتم رعايته، لأنّ التنمية التي تحقق نهضة حضارية ليست بعملية فردية، بل هي عملية حضارية يشترك فيها أفراد العالم الإسلامي جميعاً، وتتضافر جهودهم لتحقيق التنمية المطلوبة للنهضة. ولذا، فمن الأهمية بمكان أن يتولى أولو الأمر في العالم الإسلامي تبني المشروع التنموي والسهر على تنفيذه وأنْ يحظى برعايتهم ويحثوا الناس على ذلك فـ«إنّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».[٣٩]

و. التعاون والتكامل: فإذا قام أولو الأمر في العالم الإسلامي بواجب الرعاية للتنمية، من حيث الاهتمام بها والتخطيط لها وتنظيمها وتوفيرها لأفراد المجتمع جميعاً، فبعد هذا كلّه لابد من استجابة المعنيين بعملية التنمية وهم أفراد الأمة الإسلاميّة وذلك بالتعاون فيما بينهم، ولاسيما أنّ شرعنا الحنيف يحثنا على التعاون فيما فيه خير وصلاح كما قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبرِ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)[٤٠]، وكما قال تعالى: (إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ)[٤١]، وقوله تعالى:(وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ)[٤٢]. لذا فإنّ عملية التنمية لابد أنْ تكون تنمية للأمة الإسلاميّة كلّها، من خلال تعاونهم فيما بينهم وتكاملهم.

ز. الاستقلالية: لكلّ أمة خصائص تميّزها عن غيرها، ولها تراثها الديني والمعرفي الذي يكوِّن بمجموعه ثقافتها الخاصة بها. وبناء على ذلك، فإنّ العملية التنموية لابد أنْ تكون نابعة من خصائص ومميِّزات تلك الأمة، منسجمة مع تراثها الديني والمعرفي، ولا تكون مستعارة أو مستوردة. وبعبارة أخرى، فإنّ عملية التنمية لابد أنْ تـتم بعيداً عن أيّ نوع من أنواع التبعية بحيث يصح أنْ نطلق عليها "تنمية مستقلة". وعليه، فإنّ العالم الإسلامي إذا أراد أنْ يقوم بعملية تنموية ناجحة وأنْ يحقق نهضة حضارية فليس من سبيل أمامه إلا التنمية

٣٩- علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمد عمر الدمياطي، الدار العلمية للكتب، بيروت، ١٩٩٨،ص٢١٣.
٤٠- سورة المائدة، الآية ٢.
٤١- سورة الأنبياء، الآية ٩٢.
٤٢- سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

المستقلة التي يعتمد فيها على ذاته، ولا ينتظر تنميةً أو تطويراً من الآخرين ولكن ينتظر منهم تعميقاً لتنمية التبعية ومزيداً من الاستغلال

٤. أبعاد التنمية في القرآن الكريم:

ان مفهوم التنمية في القرآن يشمل تحسين ظروف حياة الإنسان من مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية. ذلك ان هدف التنمية هو الإنسان. وهو كما تقدم لا يعيش بزيادة الدخل المادي فقط بل يعيش في مجتمع له سياسته، ولا شك إن نظم مجتمعه تؤثر عليه، فلا بد من تحسينها ،كما انه لا بد كي تكون الحياة مريحة ان تكون البيئة نقية ما أمكن وصالحة للحياة. لذا دخلت كل هذه الأبعاد في مفهوم التنمية، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١. البعد الاقتصادي:

لقد اهتم القرآن بالجانب الاقتصادي في حياة الإنسان اهتماماً كبيراً، ذلك إن الإنسان لا يستطيع ان يعيش دون تلبية احتياجاته من طعام وشراب وكساء وسكن، وكل ذلك يتطلب الاهتمام بالتنمية الاقتصادية لإشباع ما فطر الإنسان عليه. لذا فقد وردت في القران الكريم آيات عديدة تمتن على الإنسان بنعمة المال والأمن، وتبين ما فطر عليه من حب المال والشهوات في حدود المباح. يقول تعالى ممتناً على قريش "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ{١} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ{٢} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{٣} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ {٤}".[٤٣]

فالله تعالى يمتن على قريش بان يسَر لهم نظام الإيلاف التجاري لما له من أهمية اقتصادية، ويسر لهم سبل الأمن لتجارتهم مما سبب إشباع حاجاتهم المادية.

ويتحدث تعالى عما أودعه في النفوس من حب المال والشهوات فيقول: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ".[٤٤]

---

٤٣ ـ سورة قريش.
٤٤ـ سورة آل عمران، الآية ١٤.

ويقول عز وجل: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً".[٤٥] ويدعونا الله سبحانه وتعالى إلى التمتع بحدود المباح فيما انعم علينا من نعم، والظهور بالمظهر اللائق، فيقول عز وجل "يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ".[٤٦] ومن الأسس العقائدية للاقتصاد الإسلامي ان الله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض لعمارتها واستثمار خيراتها، وقد أعطاه الله القدرة بما وهبه من قوة العقل والجسم لتحقيق هذا الاستخلاف، يقول عز وجل: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً".[٤٧] وقوله تعالى:"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ".[٤٨] ويبين ان الكون وما فيه مسخر للإنسان ومذلل له ليتمكن من تحقيق هذا الاستخلاف. وقد عبّر القران الكريم عن هذا المعنى بآيات كثيرة أوضحت ان التسخير شامل للأرض والبحر والجو وما فيها. ومن هذه الآيات الجامعة قوله تعالى:" اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".[٤٩]

وبديهي ان تسخير الكون للإنسان، واستخلاف الله تعالى له في هذه الأرض، يقتضيان انتفاع الإنسان بما خلق الله في الكون، واستثماره لما فيه من خيرات وثمرات بالطرق التي شرعها الله الخالق والمالك لهذا الكون لما فيه ومن فيه.

وهذه الأسس بحد ذاتها دليل على ما للنشاط الاقتصادي من أهمية بالغة في النظرة القرآنية. ولكن من المهم الإشارة إلا انه لا ينبغي ان يكون النشاط الاقتصادي غاية قصوى بحد ذاته، وإنما وسيلة لمرضاة الله وشكره. لذا وجب ان يتقيد بكل القيود الأخلاقية والشرعية، إذ الهدف النهائي هو مرضاة الله. يتضح هذا مما تقدم ذكره من قول الله

---

٤٥ ـ سورة الكهف، الآية ٤٦.
٤٦ـ سورة الأعراف، الآيتين ٣١ـ٣٢.
٤٧ـ سورة البقرة، الآية ٣٠.
٤٨ـ سورة الأنعام، الآية ١٦٥.
٤٩ـ سورة الجاثية، الآيتين ١٢ـ١٣.

تعالى:"وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ".[٥٠]

٢. البعد الاجتماعي:

لقد أولى القرآن بالعدالة الاجتماعية كأحد أبعاد التنمية أهمية بالغة كي لا تظهر في المجتمع فجوات واسعة في الدخول يبني عليها نظام طبقي بغيض، حيث يعيش أناس حياة مترفة بينما يوجد غيرهم يعانون من الفقر والحرمان، ويتعرضون لصنوف الظلم والاستغلال والهوان مما ينافي القاعدة العامة التي أرساها القرآن بوجوب إقامة العدل الذي بنى الله عليه الكون. يقول تعالى :" إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ".[٥١]

وقد أرسى القران الكريم قاعدة عامة هي وجوب توزيع الدخل بشكل عادل، وعدم جواز تداوله بين الأغنياء فقط، يقول تعالى:" مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ".[٥٢]

٣. البعد السياسي:

اهتم القرآن بهذا البعد من أبعاد التنمية عن طريق تقديره لمبدأ الشورى، وحثه الناس على الاهتمام بالشؤون العامة للأمة والمساهمة في حلها وتقريره مبدأ تكريم الإنسان ومراعاة العلاقات الإنسانية في التعامل بين الرئيس والمرؤوس وبين أفراد الأمة بشكل عام. فالشورى احد المبادئ الرئيسة في الحياة الإسلامية العامة، وهو احد أركان القيادة، كما في قوله تعالى في أوصاف الأمة المؤمنة :" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ".[٥٣]

على كل فرد من أفراد المجتمع الاهتمام بالشؤون العامة الذي عبر عنه (ص) بقوله:"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" كانت النتيجة هي المشاركة الفعالة بين القيادة ومجموع

٥٠- سورة القصص، الآية ٧٧.
٥١- سورة النحل، الآية ٩٠.
٥٢- سورة الحشر، الآية ٧.
٥٣- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

الأمة بما يأخذ بيد الجميع نحو الخير. لذا فقد كان الرسول (ص) يستشير أصحابه فيما يحزب الأمة من أمر، وكان الصحابة يشيرون عليه، ومن ثم يتخذ القرار المناسب، فيسارعون في تنفيذه عن قناعة ورضا، لأنهم أسهموا في صنعه وأدركوا أبعاده ومراميه. فقد استشارهم بوقائع متعددة ومن أمثلة ذلك استشارتهم في مكان الجيش في غزوة بدر، ومعاملة أسرى بدر.. وغيرها الكثير. وما يجعل لمبدأ الشورى حيوية متجددة في الأمة انه جاء عاما غير مقيد بصورة تنفيذية محددة مما يفتح المجال إمام الأمة لإيجاد الصيغة أو الطريقة العملية المناسبة لتحقيق الشورى في حياتها حسب تغيير ظروفها ودرجة تطورها ليكون هذا المبدأ ذا اثر فعال في حياة الأمة بشكل دائم.

٤. البعد البيئي:

اهتم القرآن بضرورة المحافظة على البيئة وتوازنها الطبيعي، وقد بين الله سبحانه وتعالى انه خلق الكون متوازنا في مجالاته المختلفة يقول تعالى: "وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ".[٥٤]

ويقول تعالى :"..وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ".[٥٥] وقد وردت أحكام إسلامية كثيرة تأمر بالمحافظة على البيئة نظيفة ونقية كي تكون صالحة لحياة كريمة للإنسان، فقد أمر المسلمين بالنظافة ونهى الرسول (ص) عن إلقاء الفضلات في المياه. وفي ظل الأشجار وأمر في الاقتصاد في استعمال الموارد لضمان عدم استنزافها. ونحن نرى الآن المخاطر الكبيرة للتلوث سواء أكان التلوث كيميائيا أو ناتجاً عن المخلفات النووية، بسبب التسارع في زيادة الإنتاج الصناعي.

من هنا ندرك حكمة القرآن بالحد من هذا المسبب عن طريق الأمر بالتوازن في حياة الإنسان المعيشية، بحيث لا يبذر ولا يسرف في الاستهلاك فالاستهلاك اللا متناهي يستوجب زيادة الإنتاج عن طريق المصانع التي تلوث البيئة أو عن طريق استخدام السماد الكيمياوي ورش المنتجات الزراعية بكثرة، ما يؤدي إلى التلوث واستنزاف الموارد معا. لذلك أمر الله بالاعتدال فقال عز وجل: "وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً"[٥٦].

٥٤- سورة الحجر، الآية ١٩.
٥٥- سورة الرعد، الآية ٨.
٥٦- سورة الإسراء، الآية ٢٩.

& **الخلاصة:**

لا شكَّ أنَّ القرآن الكريم كتاب "حياة"، وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز، فالحديث عن التنمية حديث عن جوانب "الحياة"، وإنَّ شمولية التنمية وتكاملها هي أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم، والقرآن في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها دقيق كلَّ الدقَّة، واضح غاية الوضوح، وكلَّما غاص باحث في آية من آيات التنمية في القرآن، إلاَّ وبهرته هذه الدقة وذلك الوضوح، من سمات منهج القرآن في معالجته لموضوع التنمية.

ويعد مفهوم التنمية في القرآن الكريم مفهوماً شاملاً متكاملاً يهدف إلى تحسين حياة الإنسان من مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية وفق شرائع الله المقررة، ويحرص على التنمية الشاملة للإنسان من الزوايا المادية والروحية والخلقية كافة. فالإنسان ليس مادة فقط كي تنحصر التنمية في مجال التنمية الاقتصادية (رغم أهميتها)، وإنما الإنسان مادة وروح وعقل وقلب وجسم، يعيش في هذه الحياة الدنيا، وله حاجات يجب العمل على تلبيتها، إلا ان هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، فلا بد للإنسان من الانضباط في عمله الدنيوي بما لا يتعارض مع حياته الآخروية. من خلال هذا التصور يبرز القرآن مفاهيمه للتفوق والتقدم في المجتمع لتنسجم مع عقائده وأسسه الإيمانية والأخلاقية، وهذا بحد ذاته يعتبر من أهم دوافع التنمية لان الإنسان يعمل وفق معتقداته وإيمانه، ولا يتعارض معها، إذ ان أي خطة تنمية منقولة من مجتمع مختلف في المعتقدات والتصورات لابد ان تلاقي صعوبات عدة في التطبيق.

تكون التنمية موصولة بالآخرة وبالأهداف الكريمة للحياة التي تجد ثوابها في الآخرة. أما المجتمعات المادية فمحرومة من هذه العقيدة ومحكومة لقيمتها المادية الدنيوية فالمسلم الحق هو الذي يسعى للتنمية الشاملة ويتحمل في سبيل ذلك التعب والضنك، لان هذا جزء من مهمته التي استخلفه الله لتحقيقها. فالدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا، لذا أمر الله سبحانه وتعالى بالربط بين الدنيا والآخرة في أعمالنا، فنحن نعمل في دنيانا وفق أمر ربنا،

ولكن هدفنا الأعلى والأسمى هو إرضاء الله، قال تعالى:(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)[٥٧].

يمكننا القول على ضوء ما تقدم ان القرآن الكريم حدّد معالم التنمية بشكلها المتكامل ومن نواحيها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية في إطار التنمية المتكاملة والمتوازنة للإنسان الذي تتم التنمية به وله ومن اجل تحقيق سعادته وكرامته ورفاهيته في الدنيا والآخرة. وهذا الموقف مبني على التصور القرآني للكون والحياة والإنسان الذي هو غاية جميع ما في الطبيعة، وكلّ ما في الطبيعة وجد لخدمته، كما في قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٥٨]، وقوله تعالى:(هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ)[٥٩]. وأنزل القرآن من أجل الإنسان أيضاً كما قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٦٠]. لذلك فإنّ هدف التنمية هو الإنسان، ولذا تكون العملية التنموية وسيلة غايتها تحقيق سعادة الإنسان المادية والمعنوية، فالإنسان هو محور التنمية في القرآن الكريم وهدفها الوحيد.

& المصادر:

١. القران الكريم.

٢. باباعمي، محمد بن موسى، الإنسان محور التنمية في المنهج القرآني، مجلة حراء، السنة الاولى، العدد٤، ٢٠٠٦.

٣. البدراوي، عدنان مكي عبد الله، فلاح جمال معروف العزواي، التنمية والتخطيط الإقليمي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١.

٤. الجابري، محمد عابد، الروافد الفكرية العربية والإسلاميّة لمفهوم التنمية البشرية، ندوة التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.

٥. الحسيني، محمد علي، الإسلام والتنمية الإقتصادية، مجلة النبأ، المستقبل للثقافة ولإعلام، العدد٥٨، بيروت، لبنان،٢٠٠١.

٥٧ سورة القصص، الآية ٧٧.
٥٨ سورة الجاثية، الآيتين ١٢-١٣.
٥٩ سورة الملك، الآية ١٥.
٦٠ سورة النحل، الآية ٤٤.

٦. دليا، شوقي، دور الدولة في التنمية في المنظور الإسلامي، وقائع ندوة التنمية من منظور الإسلامي،ج٢، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية"مؤسسة آل البيت"، عمان، ١٩٩٤.
٧. شبع، محمد جواد عباس، الصناعة وأثرها في التنمية الإقليمية في محافظة النجف الأشرف، رسالة ماجستير "غير منشورة"، كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، ٢٠٠٧.
٨. صايغ، يوسف، التنمية والمثلث الحرج، في التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.
٩. الطيطي، صالح، غالب محمد إسماعيل، التنمية العربية وآفاقها المستقبلية، دار حنين، عمان، ١٩٩٥.
١٠. عبد الرحيم، عبد الرحيم محمد، التنمية البشرية ومقومات تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي، بحوث وأوراق عمل المؤتمر العربي السادس للإدارة البيئية بعنوان "التنمية وأثرها على التنمية المستدامة"، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر،٢٠٠٧.
١١. العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام، مفاهيم، مناهج وتطبيقات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦.
١٢. عفر، محمد عبدالمنعم، التخطيط والتنمية في الإسلام، دار البيان العربي، جدة،١٩٨٥.
١٣. عمر، وزير غازي، التنمية المكانية والمواقع الصناعية في محافظة نينوى (منطقة الدراسة قضاء تلعفر)، رسالة ماجستير "غير منشورة"، كلية التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ١٩٨٧.
١٤. العيسوي، ابراهيم، التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراته، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠١.
١٥. القريشي، مدحت، التنمية الإقتصادية، نظريات وسياسات وموضوعات، ط١، دار وائل للنشر، عمان ـ الأردن، ٢٠٠٧.
١٦. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كمال عارف، سلسلة عالم المعرفة(١٤٢)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، مطابع السياسة، ١٩٨٩.
١٧. مفهوم التنمية، الشبكة الإسلامية، شبكة المعلومات العالمية (الانترنت):
http://www.islamweb.net.
١٨. منشورات اليونسكو، الاسكوا، البعد الثقافي للتنمية: نحو مقاربة عملية، ترجمة يوسف سماحة، ١٩٩٥.
١٩. النعيمي، طه، وآخرون، رؤيا لعقد الثمانيات في التنمية العلمية والتكنولوجيا، مجلة النفط والتنمية، العدد الأول، السنة التاسعة، بغداد، ١٩٨٤.
٢٠. الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمد عمر الدمياطي، الدار العلمية للكتب، بيروت، ١٩٩٨.